الباب التاسع

فى سلسلة طريقه وبعض الابحاث المتعلقة بها وقد كتب هو رضى الله عنه اجازة لبعضهم ذكر فيها ساساته فقال .

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد مهبط الوحى ومنبع الرحمات وعلى آله وأصحابه الائمة الهداة أما بعد فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول ان الفنون كلها لا بد فيها من واسطة ومن لا واسطة له فى فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه فمن رزقها رزق الفن وبركته ومن حرمها حرم الفن وبركته وهو أمر لا يحتاج الى برهان إذ ليس الخبر كالعيان .

ولما كان التصوف أولاها بذلك وأحقها بما هنالك وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت اليه بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه بل حتى لو فرض ان شيئا من المعارف والاذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة فالمتعين عليه أن يستند الى الواسطة ادبا مع الشريعة المطهرة إذ جاءت باعتبارها وامرت بشكرها وايضا فان الاستناد اليها فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجا من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية وناهيك بها عزا وشرفا ورفعة وفخراً إذ هى سبب للحرية بل هى فى الحقيقة عينها ولو صح لأحد شىء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل ففى تقديم المفضول على الفاضل رفعة

لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل فافهم وانظر الى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم تنفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب فما عظمت الحرية فى أحد إلا كانت العبودية فيه أعظم اذ ما تشرف من تشرف الا بها وما طرد من طرد الا بالدعوى والركون الى الحرية والأنانية وما أفلح من أفلح الا بصحبة من فلح .

وقد قال الجنيد رضى الله عنه سبق فى علم الله القديم ألا يدخل أحد حضرته الا على يد عبد من عباده .

وقال القطب المرسى رضى الله عنه ما صارت الابدال ابدالا الا بمجالسة امثالنا لذلك وجب علينا أن نذكر سندنا ونبين نسبتنا فى هذه الطريقة الدرقاوية التى هى لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصوصة بالنفحات الربانية إذ فى اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الالهية واستنزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية مع أن الاسناد من الدين فى كل وقت وحين طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر فنقول .

أخذنا هذه الطريقة النبوية عن شيخنا وقدوتنا نور الملة والدين ورحمة الله للقاصدين الواقف بباب الله الذى لم يمل فى وقت من الأوقات لسواه سلطان العارفين وقطب الواصلين سيدى ومولاى محمد ابن ابراهيم الفاسى أطال الله بقاءه وبلغه فى الدارين مقصوده ومطالبه وهذا الشيخ شأنه عند الله عظيم وأمره جسيم ما رأينا ولا سمعنا فى وقتنا هذا مثله وشرح حاله يستدعى مجلدات ولسنا بصدد ذلك الآن وهو أخذها عن شيخه العارف الربانى سيدى عبد الواحد بناني الفاسى وهو عن شيخه الهائم فى الله العارف المحبوب سيدى محمد أيوب دفين زاويته بفاس وهو أخذها عن جدنا الشريف أعجوبة الزمان العالم بالعلمين الظاهر والباطن القطب الجامع السالم مدده الجارى

سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغمارى وهو عن إمام الأولياء وعمد الاقطاب والاصفياء بحر المعارف الالهية ومعدن الاسرار الربانية برزخ البحرين وشيخ الثقلين الذى كان لغير الله لا يأوى سيدنا ومولانا العربى الدرقاوى وهو عن بحر البحور ومنبع الحور أبى الحسن سيدى على الجمل دفين زاويته بفاس وهو عن القطب سيدى العربى بن عبد الله عن شيخه ووالده قطب الزمان سيدى احمد بن عبد الله وهو عن القطب سيدى احمد اليمنى والقطب سيدى قاسم الخصاصى ، أخذ عن الاول الجيلانية وعن الثانى الشاذلية وهو عمدته وسيدى قاسم أخذ عن سيدى مبارك عبابو وعن القطب أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله معن وهو عمه ، وعنه ورث القطبية بقى فى صحبته عشر سنين وهو عن العارف أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى محشى تفسير الجلالين والسنوسية وهو عن أخيه القطب أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى وهو عن القطب سيدى عبد الرحمن المجذوب عن أبى الحسن سيدى على الشهير بالدوار عن أبى اسحق سيدى ابراهيم أفحام الزرهونى عن القطب الجامع سيدى احمد زروق عن القطب احمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا يحيى القادرى عن القطب سيدى على وفا عن والده سيدى محمد بحر الصفا عن القطب داود الباخلى عن تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الحكم عن القطب أبى العباس المرسى عن قطب الاقطاب سيدى أبى الحسن الشاذلى الغمارى عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش عن القطب سيدى عبد الرحمن المدنى الشهير بالزيات عن القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزوينى عن القطب أبى إسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المروانى عن القطب أبى محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبى محمد فتح السعود عن القطب سعيد الغزوانى عن القطب أبى محمد جابر عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب

سيدنا الحسن ابن مولاتنا فاطمه الزهراء وعلى بن أبى طالب عن والده باب مدينة العلم عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين هذه سلسلتنا الروحانية ونسبتنا النورانية وقد قال القطب أبو العباس المرسى رضى الله عنه طريقتنا هذه متصلة بالاقطاب الى قطب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قلت وليكف الانسان شرفا وفخراً وعزاً ورفعة أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمدية فانها سلسلة الذهب الابريز التى من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز وأما من دخل فيها وكان حلقة من خلاصتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأنه وقدره .

فقد قال القطب الشعرانى رضى الله عنه من فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة فى السلسلة لا يتحرك فى أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف غير المنتسب فانه يتحرك وحده ويسكن وحده الى آخر الاجازة المذكورة فى الأصل .

فصل

وهنا مباحث تتعلق بهذه السلسلة .

المبحث الاول

فى أول من ذكر هذا السند من القطب ابن مشيش الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو تقى الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى كتابه النبذة المفيدة وهو ممن أدرك أصحاب أبى العباس المرسى وتبرك بهم كما ذكره فى كتابه المذكور فقال بعد ذكر قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه فى هذه الطريق أنها متصلة بأخذ واحد عن واحد إلى الحسن ابن على عليهما السلام مانصه فلما اطلعت على هذا الكلام أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدنى أخذ

عن عارف وقته الشيخ القطب تقى الدين الفقير فذكره ثم قال واعلم انى ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ ابى العباس المرسى ومطابقة لقول المرسى أن طريقة المدنى متصلة بالأقطاب ففى هذا اشعار بصحة هذه الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلى وشيخه ابن مشيش وشيخه المدنى ثم بالحسن بن على بن أبى طالب فمجموعها على قسمين منها ماهو قطعى ومنها ما هو ظنى وأما قولهم فلان الدين ولم نذكر له شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أنى نقلته كذلك فحكيته على ما وجدته

وكذلك ذكره أيضاً فى كتابه شفاء الغليل ودواء العليل ثم تبعه كل من جاء بعده ممن ألف فى الطرق وأسانيد الطرق .

قال أبو عيسى الفاسى فى تحفة أهل الصديقية ولعل هؤلاء الرجال المنقولين عن ابن عطاء الله رضى الله عنه من كشفه أو من كشف شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه القائل والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى الله كان أوهو كائن إلا وقد اطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى قال وإذا كان كذلك فلا يذكر لكل واحد إلا الذى ولد فى سماء الروحانية ومن هو منبع مدده وأصل حقيقته الذى بتهافيه ولقنه إياها عن مخالطة أو دونها لا الذى ربأه بعد ذلك أو أفاده أمراً والله أعلم اهـ .

المبحث الثانى

ما ذكره الشيخ رضى الله عنه من كونها تنتهى إلى على عليه السلام هو ما ذكره كثير ممن أورد هذه السلسلة كالشيخ زروق وابن حجر الهيتمى فى فهرسته وابن عطية فى سلسلة الأنوار والشيخ عبد السلام الاسمر فى نصيحة المريدين وأبى الاقبال ابن وفا فى شجرة الارشاد وأبى العباس أحمد

ابن يوسف الفاسى فى المنح الصافية وابن عجيبة فى فهرسته وشرحه للحكم وآخرين .

واقتصر جماعة يطول عدهم على رفعها إلى الحسن بن على عن النبى صلى الله عليه وسلم دون واسطة أبيه على عليه السلام .

وصرح بعضهم بأنها تروى من الطريقين فيكون الحسن رضى الله عنه لبس واستقى من جده صلى الله عليه وسلم وصحب واقتدى بوالده عليه السلام .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة صلى الله عليها وسلم وأنها هى أول الأقطاب على الاطلاق وكل هذا صحيح لا شك فيه فانهم أهل بيت النبوة ومهبط الوحى ومحر المعارف ومنبع الأسرار والكساء شمل جميعهم فحازوا به من الله الخير العميم والفضل الجسيم والشرف الرفيع والولاية الكبرى إذ السر فى الكساء عند المحققين من أهل الله هو إمداد أهله بالمدد الربانى الفائض فى الذات الشريفة النبوية السارى بواسطة الكساء إلى تلك البضعة الطاهرة الهاشمية ولولاه لما كان لذلك التجليل مع الدعاء معنى كما أوضحته فى الأصل وفى البرهان الواضح الجلى فى تحقيق انتساب الصوفية الى على .

المبحث الثالث

ما تقدم من كون الراوى عن الحسن هو أبو محمد جابر غير منسوب ولا مذكور والده هو كذلك عند الأكثرين وذكر أبو على بن رحال فى الروض اليانع الفائح أنه جابر بن زيد وهو بعيد لأنى لم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام فضلا عن أخذ هذا السر العظيم عنه لا سيما وهو بصرى ومذهب أهل البصرة معلوم بل ناصبى إباضى وان نقل عنه التبرى من ذلك .

وذكر التادلى فى المعزى أنه جابر بن عبد الله الأنصارى وهذا ممكن بل هو الواقع إن شاء الله كما بينته فى البرهان الواضح .

المبحث الرابع

قد تقدم أن هؤلاء الرجال مذكورون من طريق الكشف فلا يمكن أن يعرفهم الأهل الكشف وقد حلاهم العارف محمد بن مسعود الفاسى فى الفتوحات الربانية بما يصح أن يحلى به كل عارف فلا يحصل به تعريف تام ولعله فعل ذلك من طريق الكشف أيضا فقد قال فى كلامه على الديوان وقد أعطانا الكشف والعلم الالهى ان أولياء الأمم الماضية كانت ولايتهم تنقطع بموتهم وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم الى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم فكما انه لا انقطاع لشريعتهم كذلك لا انقطاع لولايتهم اه فلا يبعد أن يكون حلاهم بذلك عن كشف وعيان .

المبحث الخامس

ما تقدم من أخذ أبى العباس احمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا القادرى عن سيدى على وفا هو ما ذكره الأكثرون وذكر بعضهم ان ابن عقبة أخذ عن سيدى على وفا بلا واسطة وهو باطل فان سيدى علي مات سنة سبع وثمانمائة وكانت ولادة احمد بن عقبة سنة اربع وعشرين فلابد من واسطة أبى زكريا المذكور ومع ذلك ففيه اشكال من وجوه .

منها ان بعضهم روى عن ابن عقبة عنه عن والده ابى مسعود احمد عن والده أبى صالح نصر عن والده أبى محمد عبدالرزاق عن والده القطب الكبير مولانا عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه وهذا غلط بين لأن أبا زكريا القادرى المذكور مات بمدينة حماه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك قبل ولادة

الحضرمى بتسعين سنة لأنها كانت سنة اربع وعشرين وثمانمائة .

ومنها ان القادرى هذا غير معروف وقد قال أبو عيسى الفاسى لا يبعد أن يكون المراد به أبا زكريا يحيى بن احمد الوفائى المعروف بأبى السيادات وتبعه على هذا جماعة جازمين به وفيه بعد لأن يحيى بن احمد الوفائى كنيته أبو السيادات لا أبو زكريا ولا تعرف نسبته بالقادرى ولا سبب لها لأنه غير قادرى لا نسبا ولا طريقة .

ومنها ان الشيخ ابا العباس احمد بن عقبة رحل من بلده إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانمائة وأقام بها عشرين سنة فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفى ذلك الوقت كان يحيى بن احمد الوفائى قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين .

ومنها ان أبا السيادات يحيى بن احمد الوفائى لم يصحب عمه ولا تأدب به لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والاقتداء فقد ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ومات عمه سنة سبع وثمانمائة ثم ان الطريقة الوفائية تروى من طريق يحيى بن احمد الوفائى هذا عن والده احمد عن أبيه محمد لا عن عمه على فالحق انه شيخ قادرى النسب شاذلى الطريقة من أصحاب سيدى على وفا أخذ عنه أبو العباس الحضرمى وكان خاملا لا يعرف فلم يترجم له أحد .

المبحث السادس

ان سيدى محمدا وفا لما مات كان لولده سيدى على ست سنين على الراجح لكنه أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره فلما خلعت وقع له الفتح فلذلك نسب إلى والده وهذا قد وقع لكثير من الأولياء كما بينته فى البرهان الواضح وفى مناهج التحقيق فلا يظن من وقف على تاريخهما ان بالسند انقطاعا فى هذا الموضع .

وهنا مباحث أخرى ذكرتها فى الكتابين المذكورين .

فصـــل

وأما رجال السلسلة من مولانا الشيخ الوالد قدس سره إلى القطب ابن مشيش فقد استوفيت ترجمتهم فى مناهج التحقيق فى الكلام على سلسلة الطريق وغالبهم أفرد بالتأليف كالشاذلى والمرسى وبنى وفا والحضرمى وزروق وأبى المحاسن الفاسى وسيدى احمد بن عبدالله وسيدى قاسم الخصاصى ومولاى العربى الدرقاوى وجدنا سيدى الحاج احمد بن عبد المؤمن فانى أفردته بتأليف سميته المؤذن بأخبار سيدى احمد بن عبد المؤمن .

الباب العاشر

فى ذكر وفاة الشيخ وبعض ما قيل فى رثائه كان الشيخ رضى الله عنه مريضا بضعف القلب والخفقان مصحوبا معه من مدة طويلة إلا أنه لم يكن ظاهرا فيه الا فى بعض الأحيان ثم فى أواخر شهر رمضان قوى فيه الا انه لم يلزمه الفراش فكان يخرج لمحل مقابلة الزوار والضيوف ولما كان يوم عيد شوال قابل كثيرا من الناس على عادته وصرح لبعضهم بأن هذا آخر اجتماع بيننا ثم فى ذلك اليوم وما بعده اشتد به الحال فجمع أهله ومن كان حاضراً من اولاده واوصاهم فحثهم على التقوى والتمسك بالدين والعمل بالسنة واجتناب البدعة وملازمة ذكر الله تعالى وذاكريه ومحبة الأولياء والصالحين واهل النسبة من الفقراء الذاكرين واكرام الضيوف وخدمتهم بالنفس والمال ومواساة الضعفاء واعانتهم ورحمة الصغير وتوقير الكبير وصلة الرحم والتخلق بالحياء والمحبة والألفة والعمل بالعلم واحياء السنة ونشرها وكف الأذى وتحمله مع الصبر والاحتمال ومعرفة الوقت واهله ونحو هذا مما كان يحث عليه دائما وقال لبعض اولاده كنا نرجو من الله تعالى الفسحة فى الأجل حتى ينصر بنا هذا الدين الشريف ونعلمكم العلم ونحج بكم ولكن راينا الأيام المقبلة ايام شرور وفتن ومصائب ومحن واشتداد ضعف فى الدين ووهن فسألت الله تعالى ان يقبضنى اليه كما فى الحديث الشريف وإذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون فاستجاب الله دعائى وصدق رضى الله عنه فقد اشتد الخطب وعظمت الرزية وظهر الانقلاب العظيم بسرعة وهو فى الزيادة نسأل الله مغفرته ومعافاته ولما كان يوم الأربعاء سادس شوال اشتد به الحال وظهرت عليه علامة الانتقال وارسل إلى بعض الفقراء فحضروا اليه فامرهم بذكر الله جهرا فلما وصل وقت العصر قدم احدهم فصلى به وبهم وصلى هو جالسا بالتيمم ثم امرهم بذكر الله ايضا إلى قرب الغروب فامر بخروجهم

فدخل عليه اهله وانجاله ولم تمض الاهنيهة حتى فاضت روحه وانتقلت إلى الرفيق الأعلى وذلك سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والف وكانت له جنازة لم تر طنجة مثلها منذ خلقها الله تعالى وحضر الناس من سائر مدن المغرب كفاس والجديدة والدار البيضاء وسلا وما بين ذلك والعرائش والقصر واصيلا وتطوان وغمارة وما بينها وذهب بجنازته الى الجامع الكبير للصلاة عليه بها لكثرة الناس وازدحام الخلق ورؤى اليهود يبكون فى بيوتهم من مهابة ذلك المحفل وما جعل الله فيه من النور والبهاء وتبرك الناس بنعشه ووزعت سجادة كانت تحته خيوطا للتبرك ثم رد الى الزاوية ولم يدفن انتظارا لما يرد من عندنا من القاهرة وكنا سعينا فى الحضور بالطيارة فلم يتيسر لنا ذلك ثم أمرناهم بالدفن بتلغراف أرسلناه فوقع الدفن ليلة الجمعة وحضر جنازته الأديب السيد محمد بن الطاهر الفاسى فرثاه بقصيدة نشرها فى جريدة السعادة فقال: بالأمس قدمنا لقراء جريدتنا السعادة ترجمة العلامة البدراوى واليوم نقدم إليهم ترجمة علم من أعلام المغرب وكبير من كبرائه فقيد العلم والدين الشريف سيدى محمد بن الصديق الغمارى ففى ذلك اليوم نفسه سادس شوال بينما نحن نمتع الطرف فى مناظر طنجة الفيحاء حيث مالت الشمس الى الغروب اذ رأينا ذلك الشبح المخوف شبح الموت الذى لا يهاب عظيما ولا يخشى شريفاً ولا مشروفاً يمد يده بدون شفقة ولا حنان فيقضى قضاءه المبرم على تلك الروح الطاهرة ويطفىء ذلك المصباح الوضاء الذى طالما اهتدينا بنوره فى تلك الظلمات القاتمة والليالى الحالكة هناك كنت لاترى إلا عيونا باكية ووجوها متغيرة وزفرات تتردد فى الفضاء ونحيبا يرن فى الاجواء وألسنة لاهجة بالمدح والثناء ثم ذكر ترجمة وجيزة ثم قال اما جنازته فكان لها مشهد عظيم حضرها كل أهالى طنجة من مختلف الطبقات ومن ذلك اليوم والوفود ترد من جل مدن الايالة قال ولما بيننا وبين الفقيد رحمه الله من العلائق الودية والرابطة العلمية رثيته بالقصيدة التالية التى ألقيتها بنفسى على قبره يوم ثالث صباح القبر

خبرونى هل غاب نجم السعود أم تسامى الى مقام الخلود
كان عهدى به يبذ الثريا كيف امسى رهين هذى اللحود
اندبوه وابكوه علّه يرثى لبكاكم فيرعوى عن صدود
ليت شعرى ايصبح الناس فوضى فى ظلام فى شقوة فى رقود
قد اخذنا بالأمس منه عهودا اتراه يفى بتلك العهود
سئم الناس بعدك العيش حتى شغلوا بالبكا ولطم الخدود
كنت فينا تبيد كل ظلام وضلال وبدعة وجمود
كنت فينا تدعو بكل صلاح باذلا فى الصلاح كل الجهود
لم تكن تبتغى سوى نصرة الدي ن جهارا وملة التوحيد
فى سبيل الاله ما قد تلاقى من شقاء ومحنة وهجود
ان فى القلب لوعة واحتراقا ومعانى الأسى والحزن الشديد
لا تقولوا قد مات انى أراه يمتع الطرف فى جنان الخلود
لا تقولوا قد غاب ان سناه فى ازدياد ونوره فى صعود
ان يغب فى بنيه خير عزاء سيما احمد كريم الجدود

ولنقتصر على هذه القصيدة اختصاراً ، والحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى وعونه